

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning



حين اهتز عرش الدولار قراءة في سياسات الرئيس ترامب وتحولات الثقة العالمية واهتزازات أسواق بغداد

د. علي محمد احمد





حين اهتز عرش الدولار
قراءة في سياسات الرئيس ترامب وتحولات الثقة العالمية واهتزازات أسواق بغداد
سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط / قسم الأبحاث / الدراسات
الاقتصادية
الإصدار / ورقة سياسات
الموضوع / الاقتصاد والتنمية، السياسة الداخلية والخارجية
د. علي محمد احمد / خبير ومتداول نقدي

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلُّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسية -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاص، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جيّة لقضايا معقدة تهتمُّ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

I. الملخص التنفيذي:

- الرئيس ترامب لا يفرض رسوماً كمركية ويخلق الجدار الكمركي فحسب، بل إنه يعيد رسم فلسفة التجارة العالمية نفسها، ولان الرسوم الكمركية من المنظم للشؤون التجارية تعني اهتزاز الثقة بالنظام الاقتصادي العالمي، وتصعد شبكات التوريد، واضطراب سلاسل الإنتاج، وارتباك المستثمرين الذين لم يعودوا يعرفون أي أرض ثابتة يمكنهم أن يضعوا أقدامهم عليها.
- أصبح الدولار ضحية لسياسات ترامب؛ فمن جهة، تتدفق إليه بعض رؤوس الأموال هرباً من الأسواق المرتبكة، ومن جهة أخرى، ينظر العالم بعين القلق إلى مستقبل عملة بلد يبدو مستعداً لقلب الطاولة على الجميع.
- أدرك كثيرون أن الدولار لم يعد محصناً من لعبة السياسة، وأن الثقة التي استغرقت عقوداً لترسيخها قد تبدأ بالاهتزاز في لحظات قليلة من السياسات المرتجلة.
- لم يكن ارتفاع أسعار الذهب مجرد صعود في القيمة، بل كان مؤشراً على تصاعد الخوف في قلب النظام المالي العالمي. ويعود ذلك إلى معادلة بسيطة: الثقة لا يملكها من يمتلك السلاح أو الاقتصاد الأقوى، بل من يحترم قواعد اللعبة التي بُني عليها هذا العالم.
- وجد النفط نفسه فجأة وسط أزمة مزدوجة، فمن جهة، انخفاض الطلب العالمي خوفاً من تباطؤ اقتصادي أو حتى ركود شامل، ومن جهة أخرى، هروب السيولة نحو الملاذات الآمنة وعلى رأسها الذهب مما زاد ضعف الأسواق التقليدية.
- في السوق الموازي العراقي، تتحكم المشاعر أكثر من القرارات الرسمية. وقد بدأت الثقة بالدولار تتراجع مع تراجع قيمته عالمياً، الأمر الذي انعكس أيضاً على قيمته محلياً. وبدأ الطلب على الدولار ينخفض، ليس فقط رغبة في التخلص منه، بل خوفاً من أن يتحول، في لحظة ما، من أصل آمن إلى عبء ثقيل.

II. المقدمة:

لطالما كان الدولار الأمريكي أكثر من مجرد عملة، بل كان بمثابة ميثاق غير مكتوب بين العالم ورمزاً للسيطرة. في ذلك الوقت، قرر الجميع، سواء كيانات سيادية مثل الدول أو القطاع الخاص، طواعية أو اضطراراً، العمل بالدولار، كونه أكثر العملات قابلية للتداول والتي تمتلك القدرة على التسوية. وكانت ورقة الدولار في ذلك الوقت شهادة على توازن القوى بعد الحرب الكبرى، وتمثل صك أمان للعالم الذي أراد أن ينسى مآسيه ويبدأ من جديد.

لم يكن الدولار مجرد أداة للتبادل؛ بل كان جسراً بين الاقتصادات، وداراً تتكى عليه الدول في أزمتها، ومنازة يهتدي بها المستثمرون في عتمة الأسواق. لذا، حين تهتز هذه المنارة، لا تهتز الأسواق وحدها، بل تهتز الثقة بذاتها. مع صعود دونالد ترامب إلى سدة الحكم، لم تكن السياسات الاقتصادية مجرد تصحيح لمسارات أو تصدير شعارات شعبية، بل كانت بداية مرحلة صاخبة، مرحلة خرجت فيها الولايات المتحدة عن دورها التقليدي كحارس للنظام العالمي، لتتحول إلى لاعب يميل إلى الصفقات، يفرض الشروط، ويعيد تعريف «الربح والخسارة» وفق ميزان مصالحه الآتي.

اذ شئت الإدارة الأمريكية حروباً تجارية لم تعرف سقفاً، مع الصين تارة، ومع أوروبا تارة أخرى، بل حتى مع حلفاء كانوا يعتبرون العلاقة مع واشنطن بمثابة صمام أمان، وفرضت رسوماً كمركية عالية، وصعدت التوترات الكلامية، وبدأت الأسواق تلتقط أنفاسها في كل تغريدة، وتتحسب لكل تصريح.

في خضم هذا الضجيج، لم يسقط الدولار سريعاً... لكنه بدأ يفقد شيئاً فشيئاً ذلك البريق اللامع الذي طالما حماه، في المقابل، ارتفع الطلب على الذهب وتدفقت رؤوس الأموال نحو الملاذات الآمن، وتحول القلق من فكرة عابرة إلى تيار صامت ينمو في أحشاء النظام المالي، ولأول مرة منذ عقود، أصبح السؤال مشروعاً: هل يمكن أن يفقد الدولار عرشه؟

في قلب هذه التحولات الكبرى، تقف الدول المرتبطة بالدولار - كالعراق مثلاً - في وضع معقد، وهل ستلتقف ارتدادات اهتزاز الثقة؟ أم أنها محصنة بحكم اعتمادها الهيكلي على الاقتصاد النفطي المرتبط بالدولار؟



هذه الورقة ليست سرداً للأحداث فحسب، بل هي محاولة لقراءة الموجات العميقة التي تتحرك تحت سطح الأرقام، وتمثل رحلة بين قرارات اتخذت في البيت الأبيض، وانعكاسات شعرت بها أسواق بغداد، وبين صراع أزلي بين الورق والمعدن، بين الثقة المصنوعة والقيمة الخالدة.

هذه الرحلة التي تبدأ من زلازل السياسات، مروراً بتصدعات الدولار، وانتهاءً بعودة الذهب إلى الواجهة كصوتٍ خافتٍ يقول: الثقة تُبنى ببطء... وتتهار حين تتسرب الشكوك

III. سياسات ترامب الجديدة: حين عادت الحروب الاقتصادية بلون أكثر شراسة

في كل مرحلة من التاريخ، كان الاقتصاد العالمي يبني جدرانه على فكرة خفية: أن الكبار لا يعثون بأساسات البيت الذي يسكنه الجميع، لكن مع عودة دونالد ترامب إلى الواجهة (في رئاسته الثانية)، بدا وكأن هذه الفكرة ذاتها باتت موضع شك، إذ لم يعد العالم أمام قائدٍ يريد إدارة النظام، بل أمام تاجرٍ قرر أن يهدم السوق ليعيد بناءه بشروطه الخاصة.

ترامب لا يُخفي نواياه، بل يعلنها وهي:

- رسوم كمركية موحدة بنسبة 10% على كل واردات العالم إلى أمريكا.
- عقوبات خاصة تصل إلى 60% وأكثر على الصين.
- تهديد مباشر للخروج من اتفاقيات التجارة الحرة، أو إعادة صياغتها بميزان لا يحفظ سوى مصلحة الداخل الأمريكي.
- عودة إلى مبدأ «الحماية الاقتصادية» بعد أن ظن العالم أن العولمة أصبحت قدراً لا رجعة عنه.

لكن الأسواق، التي اعتادت أن تبني قراراتها على استقرار القواعد، وجدت نفسها أمام ملعب تتغير قوانينه مع كل تصريح، وبينما ينظر البعض إلى الرسوم الكمركية على أنها مجرد أداة ضغط تجاري، فهم العارفون أن المسألة أعمق من ذلك: ترامب لا يفرض رسوماً... إنه يعيد رسم فلسفة التجارة العالمية نفسها، وإن فرض جدار كمركي على العالم لا يعني فقط ارتفاع أسعار السلع، بل يعني تصدع شبكات التوريد، واضطراب سلاسل الإنتاج، وارتباك المستثمرين الذين لم يعودوا يعرفون أي أرض ثابتة يمكنهم أن يضعوا أقدامهم عليها.



في هذا المناخ، أصبح الدولار نفسه ضحية غير معلنة لما يحدث. فمن جهة، تتدفق بعض رؤوس الأموال إليه هرباً من الأسواق المرتبكة، ومن جهة أخرى، ينظر العالم بعين القلق: كيف يمكن أن تستمر الثقة في عملة بلد يبدو مستعداً لقلب الطاولة على الجميع؟

ولأن المال، مثل الإنسان، يبحث عن الأمان قبل الربح، بدأت القلوب التي وثقت بالدولار لعقود تعيد اكتشاف بريق الذهب، ذلك المعدن الذي لا يكذب ولا يتغير مع تبدل السياسات. وهكذا، لم يكن زلزال ترامب الجديد مجرد خطر عابر؛ بل هو شرخ فلسفي في عمق فكرة الدولار ذاته.

هل يمكن لعملة أن تظل رمز الثقة العالمية إذا صار حارسها الأول لاعباً لا يؤمن إلا بالقوة والصفقات؟ هذه الأسئلة بدأت تهز أساسات الأسواق بصمت، قبل أن يعلو ضجيج الأحداث القادمة.

IV. تأثير هذه السياسات على الدولار عالمياً: بين القوة والقلق

في ظاهر المشهد، بدا الدولار وكأنه يزداد قوة مع كل تصريح يهدد بنشوب حرب تجارية، كانت رؤوس الأموال المذعورة تهرع نحو الأصول الأمريكية، بحثاً عن ملاذ آمن وسط العواصف، وارتفع مؤشر الدولار في بعض الفترات ظاناً أن العلو ضماناً للبقاء، لكن خلف هذا الارتفاع المؤقت، كانت الأعماق تروي قصة أخرى.

القوة السطحية التي اكتسبها الدولار لم تكن سوى قشرة رقيقة تخفي تحتها قلقاً عميقاً: قلق من أن تتحول الولايات المتحدة من حصن استقرار إلى مصدر اضطراب، قلق من أن تُستَخدم العملة الأقوى كسلاح في معركة المصالح بدل أن تبقى ميثاقاً دولياً مشتركاً، فلقد علّمت الأسواق العالمية درساً قاسياً خلال أزمات العقود الماضية: أن ما يرتفع بسرعة تحت ضغط الخوف، ينهار حين يعود العقل للحساب، وهكذا، بدأت بعض البنوك المركزية تخفف اعتمادها على الدولار في احتياطاتها الاستراتيجية، في خطوات خجولة لكنها ذات دلالة رمزية عميقة.



في خلفية هذه التحولات، عاد الذهب يلعب من جديد، فارتفعت أسعاره خلال فترة النزاعات التجارية بنسبة تجاوزت 30%، وكأن الأسواق تقول بهمس مكتوم: إذا اهتز الدولار، تبقى الأرض صلبة تحت أقدام الذهب.

إن فلسفة المال لا تحتمل الفراغات الطويلة، وحين تشكل الأسواق ولو للحظة أن راعي الدولار قد يضحي به على مذبح المصالح الآنية، فإنها تبدأ بالبحث عن بدائل تحفظ لها معنى القيمة بعيداً عن ضجيج السياسة، لهذا، كان تأثير سياسات ترامب على الدولار مزدوجاً ومتعارضاً في آن واحد: من جهة، زادت المخاوف فزاد الطلب المؤقت على الدولار، ومن جهة أخرى، زُرعت بذور الشك الطويل، فبدأ الاستعداد لليوم الذي قد ينهار فيه التوافق العالمي حوله.

كانت تلك اللحظة التي أدرك فيها كثيرون أن الدولار لم يعد محصناً من لعبة السياسة... وأن الثقة، التي استغرقت عقوداً لترسيخها، قد تحتاج إلى لحظات قليلة من السياسات المرتجلة كي تبدأ بالاهتزاز.

٧. حين اهتز معنى الثقة: زلازل تحت عرش الدولار

الثقة ليست رقماً في ميزانية، ولا مادة في قانون، بل هي نسيج خفي يربط العالم ببعضه. ولعقود، كان الدولار هو التجسيد الحي لهذه الثقة: ورقة تحمل في طياتها وعداً بقوة لا تهتز، وقانون يحمي من سطوة السياسة. لكن الثقة بالدولار كانت كالجسر، وكل تصريح يصدر عن قمة الهرم الأمريكي كان بمثابة اختبار لقوة هذا الجسر.

تصريحات ترامب في عام 2025 لم تكن مجرد وعود بفرض رسوم كمركية عالية، ولا مجرد تهديدات بإعادة تشكيل مسارات التجارة، بل كانت أولى الشقوق العميقة في هذا الجسر القديم. لم يهتز الدولار لأن السياسة الاقتصادية تغيرت، بل لأن الأسواق التقطت نغمة جديدة: أن العملة الأقوى في العالم لم تعد بمنأى عن المعارك، بل تحولت إلى سلاح في يد المصالح الآنية.

في هذه اللحظة، بدأ الخوف يتسلل بين الشرايين الهادئة للأسواق: ماذا لو لم يعد الدولار رمز الأمان بل رهينة لعبة؟ ماذا لو أصبح الورق الأخضر مجرد ورقة أخرى، تتقاذفها الأمواج كلما تغيرت نوايا السياسة؟ من هنا، لم يكن التحول نحو الذهب تحركاً استثمارياً عادياً، بل هجرة وجودية، هجرة من عملة كانت تمثل المستقبل إلى معدن يمثل الذاكرة، ذاكرة العصور التي كان فيها الأمان يقاس بثقل المعدن، لا بثقة الكلمات.

ارتفع سعر الذهب بسرعة جنونية، لكنه لم يكن مجرد صعودٍ سعري، كان قياساً لدرجة الخوف المتصاعد في قلب النظام المالي العالمي، وفي خلفية كل هذه الأحداث، كانت معادلة بسيطة تُعاد كتابتها بهدوء: الثقة ليست ملكاً لمن يملك السلاح أو الاقتصاد الأقوى، بل لمن يحترم قواعد اللعبة التي بني عليها هذا العالم. وهكذا، لم يكن السؤال الحقيقي عن نسبة الرسوم الكمركية، ولا عن قوة الاقتصاد الأمريكي، بل عن شيء أعمق بكثير: هل ما زال الدولار يستحق أن يُؤمن به؟ في الأسواق الكبرى، وفي غرف صناع القرار، كان هذا السؤال يردد صداه... بصمتٍ يسبق العاصفة.

VI. ارتدادات الزلزال: كيف وصل صدى اهتزاز الدولار إلى العراق؟

في عالم المال، لا تهز الزلازل مركز الخريطة فقط، بل تمتد ارتداداتها لتصل إلى أطرافه، إلى حيث تظن أن الأرض ساكنة وآمنة، وحين بدأ الدولار يهتز في قلب النظام المالي، لم يكن العراق، ذاك البلد الذي يتنفس بالدولار ويعيش على نبض أسواق النفط، بمنأى عن هذه الارتدادات. إن تصريحات ترامب في 2025 لم تزعزع سوق العملات فقط، بل اخترقت جدران أسواق السلع الأساسية.

ومع تصاعد الرسوم الكمركية والتهديدات التجارية، بدأت الثقة تتآكل، وشُحبت السيولة من الأسواق كما يُسحب الهواء من غرفة مكنتة، وحين تتبخر الثقة، لا يعود هناك استثمار، ولا استهلاك، ولا تجارة. النفط، هذا الدم السائل لاقتصاد العالم الحديث، وجد نفسه فجأة وسط أزمة مزدوجة: من جهة، انخفاض الطلب العالمي خوفاً من تباطؤ اقتصادي أو حتى ركود شامل، ومن جهة أخرى، هروب السيولة نحو الملاذات الآمنة وعلى رأسها الذهب، مما زاد ضعف الأسواق التقليدية.

تراجعت أسعار النفط بشدة، ليس لأن الآبار نضبت، بل لأن الثقة قد نضبت وتلاشت شهية



العالم للوقود، وكأن الاقتصاد العالمي بدأ بالفعل يطوي أشرعته استعداداً لرياح ركود قادم. بالنسبة للعراق، كانت هذه العاصفة مضاعفة الألم: النفط هو المصدر شبه الوحيد للعائدات، والدولار هو العملة التي تسعّر وتباع بها هذه الثروة.

مع أن البنك المركزي العراقي بحكم سياسته النقدية يحدد سعر الصرف الرسمي بثباتٍ دقيق إلا أن الأسواق الموازية تروي قصة مختلفة، في السوق الموازي، حيث تتحكم المشاعر أكثر من القرارات الرسمية، بدأت الثقة بالدولار تتراجع: مع ضعف الدولار عالمياً، انخفضت قيمته داخلياً أيضاً، وبدأ الطلب على الدولار يقل، ليس رغبةً في التخلص منه فحسب، بل خشية أن يتحول في لحظة إلى عبء لا إلى أصل آمن.

بعض المستثمرين والتجار اتجهوا إلى الذهب أو احتفظوا بسيولتهم بالدينار العراقي أو بعملات أخرى، بحثاً عن ملاذ أكثر أماناً، ولم يكن المشهد ثورةً على البنك المركزي بل ثورة صامتة على فكرة الدولار ذاته. في علم المال حين تفقد الثقة لا يكفي تثبيت السعر الرسمي لأن السوق الحقيقي لا تديره الأرقام... بل تديره الأرواح المرتجفة، والمخاوف الصامتة.

وهكذا، أصبح سعر الدولار في السوق الموازي مرآة مكبرة لما يحدث في العالم: قلة الطلب وهبوط في القيمة، وشعور عام بأن الدولار لم يعد الحصن المنيع كما كان يُعتقد. وفي خلفية هذا المشهد، كان العراق يقف أمام الحقيقة المؤلمة: أن الاعتماد الكلي على النفط المباع بالدولار، في عالم بدأ يفقد ثقته بكليهما، هو رهان محفوف بالمخاطر، مهما بدت الأسعار مستقرة فوق سطح الأرقام.



VII. الخاتمة

حين تتصدع الثقة... يبدأ العالم بالبحث عن بدائل، وفي عوالم المال لا تسقط الإمبراطوريات بالضربات المباشرة، بل بالتصدعات الخفية التي لا تُرى إلا حين يفوت الأوان، والدولار، الذي ظل لعقود يجسد وعد القوة والثبات، بدأ يشهد تلك التصدعات تتسلل إلى جدرانه بهدوء مخيف، وتصريحات ترامب العنيفة في 2025 لم تكن مجرد عاصفة عابرة، بل كانت ريحاً كشفت هشاشة البناء الذي ظن الجميع أنه لا يُقهر.

حين تحوّل الدولار من مرساة للاستقرار إلى سلاح في معركة المصالح، بدأ السؤال يُطرح بصوت أعلى: هل يمكن لعالم يقوم على الثقة أن يحتمل فقدانها؟ لم يكن التحول نحو الذهب هروباً عشوائياً، بل كان عودة غريزية إلى رمزية القيمة الحقيقية: أن ما لا يمكن طباعته ولا التحكم فيه، يبقى أكثر صدقاً حين تهتز الأرض تحت الأقدام.

ومع تسارع الأحداث، لم تتوقف الزلازل عند حدود الأسواق الكبرى، بل وصلت ارتداداتها إلى أطراف الخريطة، حيث وجد العراق نفسه، مثل كثير من الدول المرتبطة بالدولار، أمام واقع مريب: أسعار النفط تهبط بفعل تبخر الثقة، والدولار يفقد بريقه، ويُترجم ذلك إلى أسواق موازية ترتجف، والاقتصاد، المبني على تصدير النفط وقبض الدولار، يقف في مهب عواصف لا يستطيع السيطرة عليها، في هذا المشهد، تصبح الثقة أثمن عملة في العالم، وحين تتآكل، لا تكفي كل السياسات النقدية ولا التدخلات الطارئة لترميم ما انكسر.

لذلك، يبدو أن العالم يقف اليوم عند مفترق طرق: إما أن يُعيد ترميم جسر الثقة، ويجد صيغة جديدة تحفظ قيمة الدولار كنقطة ارتكاز للنظام المالي، أو أن يدخل عصراً جديداً، تتوزع فيه مراكز الثقة بين الذهب، والعملات البديلة، وأنظمة اقتصادية لم تتشكل ملامحها بعد.

في النهاية، هذه ليست مجرد أزمة أسعار، ولا مجرد تحول استثماري إنها معركة على روح النظام المالي العالمي، معركة ستحدد لمن ستكتب الغلبة: للقوة المؤقتة؟ أم للقيم التي بُني عليها هذا العالم حين خرج من حطام الحروب الكبرى؟

ويبقى السؤال معلقاً فوق رؤوس الجميع، كما تبقى الحقيقة الأزلية تهمس في أذن كل من يصغي جيداً: حين تسقط الثقة، لا تسقط العملات فقط... بل تسقط العوالم التي بنتها.





لِدَوْلِيَّةِ فَاعِلِيَّةٍ وَمَجْتَمَعِ مُشَارِكِ

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
